في أشراك الشرطة — وما أقلّهم !

من يشرب السم يمت طبقاً لنظام الحياة والموت . لأنّه يعاند ذلك النظام الذي لا يعرف معانداً . أما من يدوس الشريعة البشرية فيسرق رغيفاً ، فالشريعة من تلقاء نفسها لا تجعل ذلك الرغيف في فمه حجراً . ولا تقطع يده ولا تفقأ عينه لأنّه بسرقته الرغيف لم يعاند النظام السرمدي ، بل خرق نظاماً اصطلاحيّاً لا جوهر له من نفسه ، ولا له أُسُسٌ يقوم عليها سوى المصلحة البشرية الوقتيّة التي قد تكون اليوم غير ما كانت أمس . وغداً غيرها اليوم .

ألا إن الناس يتستّرون بظلّ أصابعهم ، ويسيرون كلٌّ في سبيله قانعين ، مؤمنين أن السياج الذي أقاموه حولهم من الشرائع لا يترك منفذاً لمتمرّد ، ولا مهرباً لعاصٍ . وقد فاتهم أن أعصى العصاة والمتمرّدين هو الفكر الذي لا يحصره سياج ، ولا تقيّده شريعة ، ولا تغله أغلال .

فمَن ذا من الناس تمكن يوماً من أن يقيّد فكره بوثاق فيحدّد مجراه ، ويكبح هواه ، ويدرّب خطاه ؟

إن هذا الفكر الذي لا يتقيّد بنظام سوى النظام الأكمل الأعلى هو مهبّ الرّياح التي تعصف بين الآونة والأخرى بأوضاع الناس وتقاليدهم وشرائعهم فتزعزعها وتقوضها . وكثيراً ما تقلبها رأساً على عقب ، فيحسب الناس مثل هذه